سبحانه، فهو منزه عن مثل هذا النقص الذي يعتور كلام البشر ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾[1] ولذلك فإن دلالاته يُظاهر بعضها بعضًا، وألفاظه يفسر بعضها بعضًا.

ثالثًا: امتداد الفكر الذي يحمله هذا النص فيما جاء به الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، من تفصيل وبيان وقد نُصَّ في القرآن على أن في السنة هذا الامتداد المعنوي للنص المعظم. ﴿لتبيِّن للناس ما نزِّل إليهم﴾[2].

وهذه الملاحظات جميعًا إضاءات تعين المفسر أو باحث الدلالة، لأنها تمثل له قواعد أساسية عامة، لا يمكن أن تتعارض الدلالة الجزئية في موضع ما معها، ولامع دلالة جزئية أخرى لأنه خال من الاختلاف. وتوسِّع نطاق السياق اللغوي للفظ، فسياق اللفظ القرآني الواحد، مرتبطٌ بعضه ببعض، ومرتبطٌ بمواضع أخرى ذكر فيها اللفظ، تكمل للباحث فهمه ولا يمكنه أن يفهم اللفظ مجردًا عنها، إذ هي معًا دلالة واحدة، لا تتضح حدودها إلا بملاحظة المحددات، والمحددات هي الجوانب الأخرى للدلالة.

وهذه العلاقات بين دلالات الألفاظ متشابكة ومترابطة في اللغة بعامة ومكونة لمفاهيم هذه اللغة بوصفها عالمًا مستقلا ذا وجود مطلق، يستمد دلالاته من أجزائه، وقد يتأثر بما ليس لغويا، لكن غير اللغوي هذا، لا يتحدد إلا بأداة لغوية أخرى، وهكذا لا تستطيع اللغة فكاكًا من أجزائها المختلفة، المرتبطة ارتباطًا وثيقًا في الوقت نفسه، إذ لا يبين بعضها إلا ببعض.

وهكذا أيضًا لغة الشاعر الواحدة، ولغة الشعب الواحد، فهذه محيطات لغوية ذات علاقات داخلية قوية، وتربطها منظومة فكر خاصة، ويمكن فهم بعضها من بعض.

وللشنقيطي [3] تفسير كامل يتخذ مبدأ تفسير القرآن بالقرآن منهجًا له، جاء في مقدمته أنَّ «المقصود بتأليفه أمران، أحدهما: بيان القرآن بالقرآن، لإجماع العلماء على أنَّ أشرف أنواع التفسير وأجلَّها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلَّ وعلا من الله جلَّ وعلا.

وأن «من أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك [يعني تفسيره] بيان الإجمال

---

(١) النساء: ٨٣. (٢) النحل: ٤٤.

(٣) لم أستطع العثور على ترجمة له غير أن اسمه على كتابه المطبوع: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي.